﴿تَوَارَتْ بِٱلۡحِجَابِ﴾
بين الفاعل المحذوف... والعصمة المحذوفة!

أ.د. أيمن أحمد رؤوف القادريّ - (الجامعة اللّبنانيّة - كلّيّة الآداب)

aymankadri@gmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الملخّص

في الآيـة {تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} فعـل تأوّلَـهُ كثـير مـن المفسّرين والـنّحويّين عـلى أنّ الفاعـل محذوف. وأدّى هـذا التّأويـل إلى خـرق عصمـة الـنّبيّ سـليمان، عليـه السّـلام. وهـذا الـتّفسير لا يقـومُ على سـندٍ مـن آيـةٍ أو حديـث، في حـين أنّ الـتّفسير المقابـل يعتمـد عـلى رأي الصّحـابيّ الجليـل ابـن عبّـاس. ومـا يتميّـز بـه البحـثُ هـذا جعْـلُ اللّغـةِ، عـلاوة عـلى أقـوال المفسّريـن الصّائبـة، مرجعًـا فاعـلاً في فهـم مضمـون الـنّصّ، عـبر دراسـة معجميّـة معمّقـة، وأخـرى في دلالات حـروف المعـاني، وأخـرى في تراكيـب الجملـة وفلسـفتها، عـلاوة عـلى اسـتنطاق سـياق الـكلام.

والـتّفسير المقبـول النّاتـج عـن هـذا أنّ سـليمان، عليه السّـلام، عُرَضَـت عليه خيـول الجهـاد، لكنّه شُـغِلَ عنهـا بالذِّكـر، ثـمّ نـدم لأنّ اللـهَ يحـبُّ الاعتنـاء بالخيـل، فطلـب إعادتهـا مـن حظائرهـا، وبـادر تَعويضًـا عـن فِعـلِ مـا هـو خِـلافُ الأَولى إلى الـتّربيت عـلى أعناقهـا وسـيقانها، ولهـذا وُصِـفَ بـأنّه أوّاب كثـير الرّجـوع إلى اللـه.

والملاحـظ أنّ الـتّوراة الـمشوّهة الّتـي تفـتري عـلى الأنبيـاء، وتحوّلهـم إلى أدوات قتـل للبـشر، والحيوانـات، نَسَـبَت إلى داود، والـد سـليمان، عليهـما السّـلام، «عرقبـة الخيـل»!

دالكلـمات المفتاحيـة: تـوارت بالحجـاب - ذبـح الخيـل - ردّ الشّـمس - حـذف الفاعـل - عصمـة الأنبيـاء - النبـي سـليمان - التفسـير.

Abstract

In the verse {تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}, many exegetes and grammarians have interpreted it as if the subject is omitted. This interpretation led to a violation of the infallibility of Prophet Solomon, peace be upon him. This interpretation is not based on any verse or hadith, whereas the opposite interpretation is based on the opinion of the venerable Companion Ibn Abbas. What distinguishes this research is that it makes language, in addition to the correct statements of the interpreters, as an active reference in understanding the content of the text, through an in -depth lexical study, another on

the meanings of letters, another on sentence structure and philosophy, and another on the context of the speech.

The accepted interpretation resulting from this is that Solomon, peace be upon him, was presented with the horses of jihad, but he was preoccupied with remembrance, Then he regretted it because Allah loves to take care of horses, so he asked for them to be returned from their stables, and he hastened to compensate for his wrongdoing by patting their necks and legs, and for this he was described as being obedient and often returning to Allah.

It is noteworthy that the distorted Torah, which slanders the prophets and turns them into instruments of killing humans and animals, attributed to David, the father of Solomon, peace be upon them, "the hoof of the horse"!

Keywords: Tawart al -Hijab, slaughtering horses, returning the sun, omitting the subject, the infallibility of prophets, Prophet Solomon, interpretation.

بين يدي البحث

يتدفّــق إرث القدامـــى في الأذهـــان كلّ حـــين، وينعـــش فيهـــا الحنـــين، ويؤسّـــس فيهـــا العظمـــة الصّادقــة، فالعلــماءُ الأوائــلُ أوائــلُ في كلّ حــين، يحــترم الباحــث ألبابَهــم أجــلّ احــترامٍ، وإن خالَفهم في بعــضِ الـــتّفاصيل أحيانًا.

وأجمـل إرثٍ خلّفـوه قراءاتهـم للـــنّصّ الدّينـيّ، واجتهاداتهـم الكادحــة في تفسـيره وتأويلــه، فلقـد تميّـزَت بالأنــاة والدّقّــة والموضوعيّــة، وكانـت دومًـا تنبثـق مـن منهجيّـة واضحــة، واسـتدلالٍ بـيّنٍ.

وأجمــل مــا في الأمــر اختلافــات هــؤلاء الأوائــل زمانًــا ورتبــةً في بعــض هــذه الـــنّصوص، فالباحــث حينئــذ يجــد أجــواء عابقــة بالتّناصُــح والتــوادّ.

ولذلــك كان اختيــار مســألةٍ خــاضَ فيهــا الأســلاف، والتّعمّــق في عــرضِ أدلّتِهــم، والاجتهــادُ في إبــداء أدلّــة إضافيّــة ذات ســمتٍ لغــويّ، لتأكيــد أهمّـــيّة اللّغــة في أيّ بحــثٍ فكــريّ، ولا ســيّما البحث الدّينــيّ.

فــإلى أولئــك الّذيــن يجــدون في اللّغــة ســاحةَ إبــداعٍ، وأفُــقَ تأمُّــل، فيُبحِــرون بمتعــةِ العارِفــين، وطمأنينــةِ الواثقــين، بحثًــا عــن كنــوز الحكمــة المرصــودة، خلــف أبــوابٍ مؤصَــدَة...إلى عاشــقي أناقــة الحــروف العربيّــة، أقــدِّم هــذا البحــث المتواضِــع.

١ - أصل المشكلة

ثمّــة آيــة جليلــةٌ في كتــاب اللــه الكريــم، ورد فيهــا فعــل تأوّلَــهُ كثــير مــن المفسّريــن والـــنّحويّين عــلى أنّ الفاعــل محــذوف، وهــو خــلاف الأصــل، لأنّ الفعــل ركــنٌ اصيــلٌ في الجملــة. وأدّى هــذا التّأويــل إلى خــرق أمــر آخــر، وهــو عصمــة الـــنّبيّ ســليمان، عليــه السّــلام، لأنّ الآيــة تتحــدّث عنه. ولأجــل ذلــك كانَــت هــذه الدّراســة الموجــزة.

قــال اللــه تعالى في ســورة (ص): ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ [سورة ص، الآيات 30 33-].

فلقــد ذهبــوا إلى أنّ الَّتــي تــوارت هــي «الشَّــمس»، وبنــوا رأيهــم هٰــذا عــلى أنَّ ســليمان، عليــه السَّــلام، شُــغِلَ عــن صــلاة العــصر، إذ «العَشِيّ» هــو الوقــت مــن زوال الشَّــمس إلى المغــرب. وكان ســبب انشــغاله أن عُرِضَــت أمامَــه الخيــولُ الصّافنــات الّتــي تجمــع بــين قوائمهــا، وتَثْنــي أطــراف ســنابكها. ثــمّ نــدم لأَنّ حبّــه للخــير (والـــمراد بــه الخيــل) كان أقــوى مــن حبّــه لذكــر اللــه، ولهــذا طلــب إعــادة الشَّــمس، فصــلّى. وبــادر تكفــيرًا عــن تقصــيره إلى قتــل الخيــول، وهــذا المــراد بمســحِه لســيقانها وأعناقِهــا. وقالــوا: لهــذا بــدأت الآيــات بوصــف ســليمان بأنّــه أوّاب، وهــذا يعنــي كثــير الـــتّوبة والرّجــوع إلى الله.

وممّـن ذكـر ذلـك الفـرّاء[1] في معـاني القـرآن[2]، والزّمخـشريّ[3] في الكشّـاف[4]، وابـن هشـام[5] في شرح شـذور الذّهب[6]....

٢ - الاعتراضات الأساسيّة

وهـذا الـتّفسير يـؤدّي إلى القَـدْح في عصمـة نبـيّ مـن أنبيـاء اللـه، قـال أبـو حيّـان[7] في «البحـر المحيـط» بعـد أن ذكـر تأويـلاً مختلفـاً: «وَهَـذَا الْقَـوْلُ هُـوَ الَّـذِي يُنَاسِـبُ مَنَاصِـبَ الْأَنْبِيَـاءِ، لا القـول المنسـوب للجمهـور، فـإنّ في قصّتـه مـا لا يليـق ذكـره بالنّسـبة للأنبيـاء»[8].

فكيـف يليـق أن ينـسى نبـيٌّ الصّـلاة، واللـهُ يقـولُ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [سورة الماعون، الآيتان ٤ -٥].

وهـذا التّفسـير لا ينسـب إلى النّبـيّ سـليمان أنّـه أهمـل الصّـلاة فحسـب، بـل أنّـه فضّـل حـبّ الخيـل عـلى حـبّ ذكـر اللـه، واعـترف بـه. فأيـن حـلاوة الإيمـان؟ قـال النّبـيّ محمّـد، صـلّى اللـه عليـه وسـلّم: «ثـلاثٌ مَـن كُـنّ فيـه وجـدَ حَـلاوةَ الإيمـانِ: أن يكـونَ اللـهُ ورسُـولُهُ أَحَـبَّ إليه مِـمَّا سِـواهما....»[9].

ثـمّ كيـف يكفّـر عـن ذنبـه هـذا بقتـل الخيـول، والسّـبب قائـمٌ في ذاتـه الّتـي لم تسـتطع المداومـة عـلى الذّكـر، إذا صـحّ هـذا الـتّفسير؟ ألم يقـل اللـه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [سورة الأنعام، الآية 164]؟

ولذلـك قـال الطّـبريّ[10]: «وهـذا القـول الـذي ذكرنـاه عـن ابـن عبّـاس أشـبه بتأويـل الآيـة، لأنّ نبـيّ اللـه لم يكـن ليعـذب حيوانًـا بالعَرْقَبَـةِ[11]، ويُهلـك مـالاً مـن مالـه بغـير سـبب سـوى أنّـه

---

١ هو أبو زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء، مولى بني منقر، ولد بالكوفة. وكان يجلس للنّاس في مسجده إلى جانب منزله، ويتفلسف في تأليفاته وتأويلاته، حتّى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة، له من الكتب «معاني القرآن»، و»كتاب اللّغات»، و»كتاب الجمع والتّثنية في القرآن»، و»كتاب المصادر في القرآن». توفّي سنة ٢٠٧هـ/822م. ابن النّديم، الفهرست، ضبط وشرح د. يوسف عليّ الطّويل، فهرسة أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ص105 106-؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ب.ط، 1398هـ/1978م، 6/176 181-.

٢ الفرّاء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/1983م، 2/404 405-.

٣ هو أبو القاسم عمر بن محمّد بن عمر الخوارزميّ الزّمخشريّ، الإمام الكبير في التّفسير والحديث والنّحو واللّغة وعلم البيان، كان إمام عصره غير مدافَع، وعُرِفَ بالاعتزال. له «الكشّاف»، و»الفائق»، و»أساس البلاغة»، و»المفصّل». توفّي سنة ٥٣٨هـ/1162م. ابن خلّكان، 5/168 173-.

٤ الزّمخشريّ، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، عناية: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م، ص٩٢٥.

٥ هو أبو محمّد، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمّد، جمال الدّين، المعروف بابن هشام، من أئمّة العربيّة. ولد سنة ٧٠٨هـ/1309 بمصر، قال ابن خلدون: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالم بالعربيّة، يقال له ابن هشام، أنحى من سيبويه. توفّي سنة 761هـ/1360م، بمصر. من تصانيفه ''مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب''، و''شذور الذّهب''، و''قطر النّدى''، و''أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك''. الزّركليّ، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ/2002م، 4/137و148.

٦ ابن هشام، شرح شذور الذّهب، تقديم وفهرسة د. إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، ط٢، ١٤٢٤هـ/2004م، ص49.

٧ أبـو حيّـان محمّـد بـن يوسـف الغرناطـيّ الأندلسـيّ الجيـانيّ (٦٥٤ - ٧٤٥هـ): مـن كبـار العلـماء بالعربيّـة والتّفسـير والحديـث والتّراجـم واللّغـات. ولـد في إحـدى جهـات غرناطـة، ورحـل إلى مالقـة. وتنقّـل إلى أن أقـام بالقاهـرة. وتـوفيّ فيهـا، بعـد أن كـفّ بـصره. مـن كتبه «البحـر المحيـط») في تفسـير القـرآن)، و»النهـر المادّ») اختـصر بـه البحـر المحيـط، و»مجـاني العـصر») في تراجـم رجـال عصرهـــ). الـزّركليّ، الأعـلام، 7/152.

٨ أبو حيّان، البحر المحيط، عناية: صدقي محمّد جميل العطّار - زهير جعيد - عرفان العشّا حسّونة، دار الفكر، بيروت، ب.ط، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٩/١٥٤.

٩ محمّد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ/1993م، كتاب الإكراه، باب من اختار الضّرب والقتل والهوان على الكفر، الحديث ٦٢٥٤، مج ٦، ص٥٤٦.

١٠ ابن جَرير الطَّبَري (٢٢٤ -٣١٠هـ): المؤرّخ المفسّر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفّي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له «أخبار الرسل والملوك»، ويعرف بتاريخ الطّبريّ، و»جامع البيان في تفسير القرآن»، و''اختلاف الفقهاء''، وغير ذلك. الزّركليّ، الأعلام، ٦/٦٨ -٦٩.

١١ العرقبة: قطع عرقوب الدّابّة. والعرقوب: هُوَ الوَتَرُ الَّذِي خَلْفَ الْكَعْبَيْنِ مِن مَفْصِلِ الْقَدَمِ وَالسَّاقِ، مِنْ ذَوَاتِ الأَربع. ابن منظور، لسان العرب، تعليق إبراهيم اليازجيّ وجماعة من اللّغويّين،

اشـتغل عـن صلاتـه بالنّظـر إليهـا، ولا ذنـب لهـا باشـتغاله بالنّظـر إليهـا»[12]. وكان في ذلـك يعلّـق علـى تفسـير الصّحـابيّ الجليـل عبـد اللـه بـن عبّـاس[13] (٦٨هـــ) للآيـة: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ۝٣٣﴾ [سورة ص، الآية ٣٣]، بقولـه: «جعـل يمسـح أعـراف الخيـل وعراقيبها، حبًّا لهـا». ووافَقَ ابـنَ عبّـاسٍ في ذلـك مجاهـدُ بـن جَـبْر[14] وطـاوس بـن كَيسـان[15]، وقَتـادة بـن دِعامـة[16]، وابـن شِـهاب الزُّهريّ[17]...

والـخلل الأسـاسيّ في الـتّفسير الشّـائع أنّـه لا يقـومُ عـلى سـندٍ مـن آيـةٍ أو حديـث، وإنّـما يذهـب إلى المأثـور مـن اجتهـادات بعـض الـتّابعين، في حـين أنّ الـتّفسير المقابـل يعتمـد عـلى رأي الصّحـابيّ الجليـل ابـن عبّـاس الّـذي دعـا لـه الـنّبيّ صـلّى اللـه عليـه وسـلّم، بقولـه: «اللّهُـمَّ فقِّهْه في الدِّيـن وعلِّمْـه التَّأويـلَ»[18].

ويضـاف إلى الاعتراضـات أنّ الشّـمس لـو رجعـت بعـد غروبهـا لأبصرهـا النّـاس قاطبـة، ولتواتر الخـبر في كتـب أهـل التّاريـخ، ولكـنّ أحـدًا لم ينقلـه[19]!

ومَـن يأمـرُ الـنّبيُّ سـليمانُ عليـه السّـلام بـردّ الشّـمس في قولـه «رُدّوهـا عـليّ»؟ واللـه وحـدَه المتـصرّف بهـا، والقـادر عـلى تحريكهـا؟[20]، وإذا كان يخاطـب ربَّـه فالمشـكلة أصعـب: «وَهَـذِهِ كَلِمَـةٌ لَا يَذْكُرُهَـا الرَّجُـلُ الْحَصِيـفُ إِلَّا مَـعَ الْخَـادِمِ الْخَسِـيسِ»[21].

وفي كلّ ذلـك يقـول ابـن حـزم[22]: «وهـذه خرافـة موضوعـة مكذوبـة سـخيفة بـاردة، قـد جمعـت أفانـين مـن القـول، والظّاهـر أنّهـا مـن اخـتراع زنديـقٍ، بـلا شـكّ، لأنّ فيهـا معاقبـة خيـل لا ذَنـب لهـا، والتّمثيـل بهـا، وإتـلاف مـال مُنتفَـع بـه بـلا معنـى، ونسـبة تضييـع الصّـلاة إلى نبـيّ مرسـل، ثـمّ يعاقـب الخيـل عـلى ذنبـه، لا عـلى ذنبها، وَهَـذَا أَمـر لَا يسـتجيزه صبـيّ ابْـن سـبع

دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، 1/594.

١٢ ابن جرير الطّبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التّربية والتّراث - مكّة المكرمة، ب.ط، لا ت، ٢١/١٩٦.

١٣ عبـد اللـه بـن عبّـاس (٣ -٦٨هـــ): أبـو العبّـاس، الصّحـابي الجليـل، ابـن عـمّ الـنّبيّ، صـلّى اللـه عليـه سـلّم، روى عنـه الأحاديـث الصّحيحة. وشـهد مـع عـليّ الجمـل وصفّـين. وكـفّ بـصره في آخـر عمـره، فسـكن الطّائـف، وتوفّـي بهـا. الـزّركليّ، الأعـلام، ٤/ ٩٥.

١٤ مجاهد بن جبر (٢١ -١٠٤هـ): أبو الحجّاج المكّيّ، مولى بني مخزوم، تابعيّ، مفسّر من أهل مكّة. أخذ التّفسير عن ابن عبّاس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كلّ آية يسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ الزّركليّ، الأعلام، ٥/٢٧٨.

١٥ طـاوُس بـن كَيْسَـان (٣٣ -١٠٦هـــ): مـن أكابـر التّابعـين، تفقُّهًـا في الدّيـن وروايـة للحديـث، وتقشّـفًا في العيـش، وجـرأة عـلى وعـظ الخلفـاء والملـوك. أصلـه مـن الفـرس، ومولـده ومنشـأه في اليمـن. الـزّركليّ، الأعـلام، 3/224.

١٦ قتَادَة بن دعامة (٦١ -١١٨هـ): أبو الخطّاب السّدوسيّ، مفسّر حافظ ضرير أكمه. أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسًا في العربيّة ومفردات اللّغة وأيّام العرب والنّسب. الزّركليّ، الأعلام، ٥/١٨٩.

١٧ ابـن شـهاب الزُّهْـريّ (٥٨ -١٢٤هـــ): محمّـد بـن مسـلم بـن عبـد اللـه بـن شِـهَابّ، أوّل مـن دون الحديـث، وأحـد أكابـر الحفّـاظ والفقهـاء. تابعـيّ، من أهـل المدينـة. الـزّركليّ، الأعـلام، 7/97.

١٨ أحمد بن حنبل، المسند، تح: محمد أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/1995م، رقم الحديث 2881، مج3، ص272.

١٩ فخر الدّين الرّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التّراث العربّي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ/1999م، ج26، ص391.

٢٠ م.ن.، ج26، ص391.

٢١ م.ن.، ٢٦/٣٩١.

٢٢ عـلي بـن أحمـد بـن سـعيد بـن حـزم الظّاهريّ، أبـو محمّـد (٣٨٤ -٤٥٦هـــ) عـالم الأندلـس في عـصره، ولـد بقرطبـة، وكانـت لـه ولأبيـه مـن قبلـه رياسـة الـوزارة وتدبـير المملكـة، فزهـد فيهـا وانـصرف إلى العلـم والتّأليـف، وانتقـد كثـيراً مـن العلـماء والفقهـاء، فتمالـؤوا عـلى بغضـه، وحـذروا سـلاطينهم مـن فتنتـه، فأقصَـوه وطـاردوه، فرحـل إلى باديـة مـن بـلاد الأندلـس، فتـوفيّ فيهـا. أشـهر مصنّفاتـه «الفصـل في الملـل والأهـواء والنّحـل»، و«المحـلّى»، و«جمهـرة الأنسـاب». الـزّركليّ، الأعـلام، ٤/ ٢٥٤.

سِـنِين، فَكيـف بِنَبِـيّ مُرْسَـل؟»[23].

وعصمـة الأنبيـاء أمـر قـرّره أهـل السّـنّة في كتـب العقيـدة بوضـوح، إذ «قالـوا بعصمـة الأنبيـاء مـن الذّنـوب، **وتأوّلـوا** مـا رُوي عنهـم مـن زلّاتِهـم عـلى أنّهـا كانـت قبـل الـنّبوّة، عـلى خـلاف قـول مَـن أجـازَ عليهـم الصّغائـر...»[24]. ولنـا هنـا أن نـرى في هـذه العبـارة أنّ مبـدأ التّأويـل كان للحفـاظ عـلى صـورة العصمـة الـنّاصعة، أمّـا تأويـل قصّـة سـليمان، عليـه السّـلام، بصَرْفِهـا عـن ظاهرهـا، فقـد انتقـص مـن قـدْر العصمـة!

٣ - المنهج والمنهجيّة

وإذا خـلا الأمـر في الـتّفسير مـن وثيقـةٍ شرعيّـة (آيـة أو حديـث) فالأصـل أن تكـون اللّغـة هـي الـمرجع في فهـم مضمـون الـنّصّ عـبر تقـصّي عنـاصره والرّبـط بينهـا. ولهـذا سـيكون **المنهـج المتّبـع هـو المنهـج البنيـويّ**، فهـو يُعـدّ «ظاهـرة قائمـة عـلى تحديـد وظائـف العنـاصر في تركيـب اللّغـة... مندرجـة في منظومـات واحـدة»[25]، إذ «لا يمكـن تحليـل أيّ عنـصر مـن عنـاصر اللّغـة معـزولاً عـن الآخـر»[26].

وهـذا مـا يتميّـز بـه البحث، إذ ثـمّة **دراسـات سـابقة** انتقـدت الـرّأي السّـائد في تفسـير الآيات، واقتـصرت عـلى الـتّمحيص في الرّوايات، ونقـاش المفاهيـم الدّينيّة.

ومـن ذلـك تعليقـات المفسّريـن الّذيـن سـبق ذِكـر بعضهـم، وسـيلي ذكـر غيرهـم، وإن لم يخصّـوا المسـألة بمصنّفـات مسـتقلّة.

ومـن ذلـك رسـائل مفـردة بهـذا الشّـأن، أو مقـالات مركّـزة، مثـل رسـالة «جـواب عـن وقـف الشّـمس لبعـض الأنبيـاء، عليهـم السّـلام»[27]، الّتـي كُـرّرت فيهـا أدلّـة المفسّريـن، ومثـل منشـور «عصمـة الـنّبيّ سـليمان، عليـه السّـلام، ومسـألة عـرض الصّافنـات الجيـاد، وطلـب الملـك»، في «شـبكة المعـارف الإسـلاميّة الثّقافيّـة»[28]، ومثـل منشـور «قصّـة النّبـيّ سـليمان مـع الخيـل: هـل قتلهـا بالفعـل؟ مـا يقولـه الـتّراث الإسـلاميّ»[29].

ومـن ذلـك منشـورات في الشّـابكة، ناقشـت هـذا الشّـأن وشـأنًا آخـر، وهـو ردّ الشّـمس لعـليّ

---

٢٣ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ب.ط، ب.ت، ٤/ ١٦.

٢٤ عبد القادر البغداديّ، الفرق بين الفرق، دار الكتب العلميّة، بيروت، ب.ط، ب.ت، ص٢٦٥.

٢٥ جبّور عبد النّور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٣٤.

٢٦ مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنيّة، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٧١.

٢٧ محمّد بخيت المطيعيّ (مفتي الدّيار المصريّة)، جواب عن وقف الشّمس لبعض الأنبياء، عليهم السّلام (مطبوع مع كتابه: أحسن الكلام في ما يتعلّق بالسّنّة والبدعة من الأحكام)، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٨ كاتب مجهول، «عصمة النّبيّ سليمان، عليه السّلام، ومسألة عرض الصّافنات الجياد، وطلب الملك»، شبكة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة، ب.ت، راجع الرّابط التّالي (تاريخ الزّيارة: ٢٤ آب ٢٠٢٥ - ٨:٤٠ مساء):

https//:www.almaaref.org/maarefdetails.php?id١٦٤٣١=

٢٩ أحمد إبراهيم الشّريف، «قصّة النّبيّ سليمان مع الخيل: هل قتلها بالفعل؟ ما يقوله التّراث الإسلاميّ»، مجلّة اليوم السّابع، ٢١ حزيران ٢٠٢٠م، راجع الرّابط التّالي (تاريخ الزّيارة: ٢٤ آب ٢٠٢٥ - ٨:٥٠ مساء):

https//:www.youm.٧com/story٤٨٣٦٦٧٩/يقوله_ما_بالفعل_قتلها_هل_الخيل_مع_سليمان_النبى_قصة/٢١/٦/٢٠٢٠/

بـن أبي طالـب، رضي اللـه عنـه، مثـل منشـور «ردّ الشّـمس»[٣٠]، في موقـع سـماحة الشّـيخ محمّـد العبيـدان القطيفـيّ.

وليـس في هـذه الدّراسـات انطـلاقٌ مـن الرّؤيـة اللّغويّـة، ولهـذا يـبرز الجديـد المظنـون في هـذا البحـث.

وأبرز الفرضيات في هذه الدّراسة:

- لا ينبغـي أن يعـارض أيّ تفسـيرٍ عصمـةَ الأنبيـاء، ولذلـك لا بـدّ مـن وجـود تفسـير صائـبٍ مقنـع.
- لا تسـتطيع اللّغـة إلّا أن توصـل إلى الصّـواب في التّفسـير، لأنّ القـرآن نـزل بلسـان عـربيّ مبـين، وإعجـازه مبنـيّ عـلى بلاغـة هـذه اللّغـة.
- تسـتطيع سـياقات قرآنيّـة في آيـاتٍ أخـرى أن تُسـهِم في الـتّفسير الصّائـب، لأنَّ القـرآنَ يفـسِّرُ بعضُـه بعضًـا.

ويصعـب وضـع **إطـار مـكانيّ لهـذه الدّراسـة**، لأنّهـا بحثيّـة تنهـل مـن كتـبٍ صنّفهـا مؤلِّفـون عـلى امتـداد رقعـة العالَـم الإسـلاميّ. أمّـا **الإطـار الزّمـانيّ** فيمكـن الحديـث فيـه عـن فـترة نبـوّة سـليمان، عليـه السّـلام، لأنّ محـور الـنّقاش حادثـة جـرت لـه، ويمكـن الحديـث أيضًـا عـن فـترة نـزول القـرآن، لأنّ منـه الآيـات الّتـي نقلـتْ هـذه الحادثـة، وأمّـا زمـان المصنّفـات الّتـي تحدّثـت عـن المسـألة فـلا يُحْـصَر.

٤ – التّفسير البديل

مـن خـلال القـراءة الظّاهـرة للآيـات يتبـيّن أنّها تتحـدّث عن حـبّ الـنّبيّ سـليمان، عليه السّـلام، للخيـول، وقـد رآهـا تمـرّ أمامَـه، وتأمّلهـا ببهجـة، ولـمّا تـوارَت عنـه الخيـول، طلـبَ عودَتَهـا، وبدأ يربّـت عـلى أجسـادِها تحبُّبًـا. وهـذا لا يحتـاج إلى أيّ تأويـل.

ويجـد الباحـث نـصرةَ التَّفسـير الثّـاني لـدى الطّـبريّ في «جامـع البيـان»، والأمـرُ كذلـك لـدى فخـر الدّيـن الـرّازيّ (٦٠٦هــ)[٣١]، في «مفاتيـح الغيـب»، ومفتـي الدّيـار المصريّـة الشـيخ محمّـد بخيـت المطيعـيّ (١٣٥٤هــ) ، في رسـالته «جـواب عـن وقـف الشّـمس لبعـض الأنبيـاء، عليهـم السّـلام»[٣٢]، وعبـد الوهّـاب الـنّجّار (١٣٦٠هــ) في «قصـص الأنبيـاء»[٣٣]، ومحيـي الدّيـن درويـش (١٤٠٣هــ) في «إعـراب القـرآن وبيانـه»[٣٤]، ولجنـة القـرآن والسّـنّة، في «المنتخـب في تفسـير القـرآن

٣٠ محمّد العبيدان القطيفي، «ردّ الشّمس»، موقع الشّيخ محمّد العبيدان القطيفيّ، ٢٩ آذار ٢٠١٧، راجع الرّابط (تاريخ الزّيارة ٢٤ آب ٢٠٢٥ – ٤:٤٦ مساء):
https//:www.alobaidan.org/archives١٢٣٩٣/

٣١ فخر الدّين الرّازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص٣٨٩ –٣٩١.

٣٢ محمّد بخيت المطيعيّ (مفتي الدّيار المصريّة)، جواب عن وقف الشّمس لبعض الأنبياء، عليهم السّلام (مطبوع مع كتابه: أحسن الكلام في ما يتعلّق بالسّنّة والبدعة من الأحكام)، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، ط١، ١٤٠٨هـ/1988م، ص88 90–.

٣٣ عبد الوهّاب النّجّار، قصص الأنبياء، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط٣، ب.ت، ص٣٢٢ –٣٢٣.

٣٤ محيي الدّين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة، دمشق – بيروت، ودار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط٧، ١٤٢٠هـ/1999م، 6/464و465.

الكريم»[٣٥]، وعلي محمّد الصّلابيّ[٣٦] في «الأنبياء والملوك، داود وسليمان، وهيكل سليمان المزعوم»[٣٧]. وإنّ اللّغة تسعفُ كثيرًا في دعْمِ هذا التّفسير.

٥ - معنى «الأوّاب»

وليست دلالة «الأوّاب» مقصورة على الّذي يكثر من التّوبة، إذ تدلّ أيضًا على الرّاحم، كما قال السّمين الحلبيّ[٣٨] في «عمدة الحُفّاظ»[٣٩]، وهذا الأمر نجده في «الزّاهر في معاني كلمات النّاس»[٤٠]، و«لسان العرب»[٤١]. وقد أظهر سليمان الرّحمة والتّودُّدَ للخيول، حينَ مرّر يديه يمسحها.

وفي شرح «الأوَّاب» ضمن هذه الآية وردت عدّة أقوال أخرى عن السّلف، منها المُسبِّحُ والمطيع[٤٢].

والله تعالى وصف النّبيّ أيّوب عليه السّلام بـ «الأوّاب»، في غير سياق التّوبة، ضمن السّورة نفسها الّتي فيها حادثة الصّافنات الجياد: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص، الآية ٤٤]. وفي ضوء هذا السّياق يصحّ قول السّمين الحلبيّ أيضًا: «والأوّاب: الكثير الرّجوع لربّه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه»[٤٣].

وإذا قيل إنّ الأوّاب هو الّذي يُحدِث الاستغفار والتّوبة، فهل هذا يعني وجود ذنب بالضّرورة؟ ألم يقل الله لنبيّه محمّد، عليه الصّلاة والسّلام: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ③﴾ [سورة النّصر، الآيات ١ -٣]؟ والّذي فَسَّرَ بِهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ هذا الكلامَ: «أَنَّهُ قَدْ أَمَرَنَا إِذَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونَ أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَشْكُرَهُ وَنُسَبِّحَهُ، يَعْنِي نُصَلِّي لَهُ وَنَسْتَغْفِرَهُ»[٤٤]، فالاستغفار والتّوبة فُسِّرا بالشّكر والصّلاة، وليس بوجود ذنب سابق، ولا سيّما أنّ الآيات هذه خطاب للنّبيّ، عليه الصّلاة والسّلام، قبل غيره، وأنّى له أن

٣٥ لجنة القرآن والسّنّة، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ب.ط، لا ت، ص٦١٤.

٣٦ ولد الدكتور علي محمَّد الصَّلّابي في بنغازي بليبيا عام ١٩٦٣م، ونال الدّكتوراه في الدّراسات الإسلاميّة بمؤلّفه «فقه التّمكين في القرآن الكريم»، من جامعة أمّ درمان الإسلاميّة بالسّودان، وهو عضو الأمانة العامّة للاتّحاد العالميّ لعلماء المسلمين. وقام بمبادرات سياسيّة وطنيّة في ليبيا، واهتمّ بمشروع المصالحة الوطنيّة، وكتب فيها كتاب «العدالة والمصالحة الوطنيّة، ضرورة دينيّة وإنسانيّة». وله عشرات المؤلّفات القيّمة. راجع في ترجمته هذا الرّابط ضمن صفحته الرّسميّة (salabiPersonalInfo/com.alsalabi.www//:https/)، تاريخ الزيارة: ٣ تمّوز ٢٠٢٥ - ١:٢٠ ب.ظ.

٣٧ علي الصّلابيّ، الأنبياء والملوك، داود وسليمان، وهيكل سليمان المزعوم، دار الأصالة، إستنبول، ط١، ٢٠٢٣م، ص١٤٧ -١٥٨.

٣٨ السَّمِين الحلبيّ (٧٥٦هـ): أحمد بن يوسف بن عبد الدّايم الحلبيّ، أبو العبّاس، مفسّر، عالم بالعربيّة والقراءات. شافعيّ، من أهل حلب. استقرّ واشتهر في القاهرة. من كتبه "تفسير القرآن" و"عمدة الحفّاظ، في تفسير أشرف الألفاظ" و"شرح الشّاطبيّة) في القراءات). الزّركليّ، الأعلام، ١/ ٢٧٤.

٣٩ السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ١٣٧/١.

٤٠ أبو بكر الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس، تح: حاتم صالح الضّامن، مؤسسّة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م، ١١٥/١.

٤١ ابن منظور، لسان العرب، ٢١٩/١.

٤٢ الطّبري، جامع البيان، ٢٢/ ٨٦٤.

٤٣ السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ١٣٧/١.

٤٤ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ٨/ ٤٨٣.

يُذنِـبَ، وهــو المعصــوم؟

٦ - معنى «العشيّ»

لقـد رأى غالـب المفسّريـن أنّ ذِكـرَ «العَـشِيِّ» هُنـا لَيْـسَ لِمُجَـرَّدِ التَّوْقِيـتِ، بَـلْ لِيُبْنـى عَلَيْـهِ قَوْلُـهُ «تَـوارَتْ بِالحِجـابِ»، انطلاقـًا مـن أنّ «العـشيّ» يفيـد الوقـت الممتـدّ مـن العـصر إلى المغـرب.

ولكـنْ مـن معـاني «العـشيّ» أيضـًا الوقـت الممتـدّ مـن صَـلَاة الْمغـرب إِلَى الْعَتَمَـة[45]، فلـماذا نجزم بالتّفسـير الأوّل، ونربطـه بالوقـت الّـذي لا تـزال فيـه الشّـمس في كبـد السّـماء؟ ونحـن نعلـم أنّ جـذر الكلمـة مرتبـط بسـوء الرّؤيـة أو انعدامهـا[46]، وهـذا يتّصـل بمفهـوم اللّيـل أكـثر. والعُشْـوَة: مَـا أُخِـذَ مِـنْ نـارٍ لِيُقْتَبـس أَو يُسْـتَضاءَ بِـهِ[47]، وهـذا نحتـاج إليـه ليـلاً. وقريـب مـن ذلـك قـول الشّـاعر [بحـر الطّويـل]:

متى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوءِ نارِهِ   تَجِدْ خيرَ نارٍ، عندَها خَيرُ مَوقِدِ[48]

و«تعشو»: «تجيء على غير بصر ثابت»[49].

وَفِي الْحَدِيـثِ: «حَتَّـى ذَهَـبَ عَشْـوَةٌ مِـنَ اللَّيْـلِ»[50]، وهـي مـا بَـيْنَ أوَّلـهِ إلى رُبعـهِ، كأنّهـا مأخـوذَةٌ مـن العِشـاءِ[51]، أو هـي السَّـواد مِـنَ اللَّيـل[52].

٧ - الباء في «العشيّ»

والـــنّحويّون يـرون أن الأصـل في الدّلالـة عـلى الظّـرف اسـتخدام «في»، ولذلـك عرّفـوا الظّـرف بأنّـه مـا تضمّـن معنـى «في»[53]، ولكنّهـم حـين أجـازوا أن تحـلّ البـاء محـلّ «في» في هـذه الدّلالة[54]، لم يبيّنـوا أنّـه أكـثر مِـن جـواز. والصّـواب أنّ ظرفيّـة «في» ظرفيّـةُ تَضَمُّـنٍ واحتـواء، وظرفيّـة

---

٤٥ أورد ابن منظور: «فَإِذَا غابَتِ الشَّمْسُ فَهُوَ العِشَاءُ». ابن منظور، لسان العرب، ١٥/٦٠.

٤٦ ابن منظور، لسان العرب، ١٥/٥٦.

٤٧ م.ن.، ١٥/٥٩.

٤٨ الحطيئة، الدّيوان (برواية ابن السّكّيت وشرحه)، دراسة وتبويب: مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/1993م، ص70.

٤٩ الحطيئة، الدّيوان ص ٧٠.هـ٤٠ (شرح ابن السّكّيت).

٥٠ أبو موسى المدينيّ، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تح: عبد الكريم العزباويّ، جامعة أمّ القرى، مركز البحث العلميّ وإحياء التّراث الإسلاميّ، كلّيّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، مكّة المكرّمة/ دار المدنيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، جدّة، ط١، 1408هـ/1988م، 2/456؛ مجد الدّين بن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزّاويّ ومحمود محمّد الطّناحيّ، المكتبة العلميّة، بيروت، ب.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٣/٢٤٢.

٥١ أبو موسى المدينيّ، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، ٢/٤٥٦.

٥٢ ابن منظور، لسان العرب، ١٥/٦٠.

٥٣ ابن هشام الأنصاريّ، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت، ب.ط، ب.ت، ٢/٢٣١.

٥٤ م.ن.، ٣/٣٧.

«البـاء» ظرفيَّـةُ مُلاصَقَـةٍ واقـتران[٥٥]. ولذلـك قـال اللـه تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْـتٍ وُضِـعَ لِلنَّـاسِ لَلَّـذِى بِبَكَّـةَ...﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٦] في إشـارة إلى أنّ الكعبـةَ باقيـة في مكّـة بقـاء اسـتقرار[٥٦].

فقولـه تعـالى: «إذْ عُـرِضَ عليـهِ بالعَـشِيِّ...»، يشـير إلى أنّ الخيـول عُرِضَـتْ عـلى سـليمان، عليـه السّـلام، عرضًـا اسـتغرقَ العـشيّ واسـتطال، ولم يكـن في جـزء سريـع منـه، ولا يكـون هـذا إلاّ إذا كانـت الخيـول كثـيرة. وهـذا يعـزّز أنّهـا للجهـاد في جيـش حقيقـيّ، كـما سـيلي، وليسـت للاقتنـاء الشّـخصيّ. وهنـا نسـأل: أيتخـلّى سـليمان، عليـه السّـلام، عـن عـدّة الـنّصر، ويجهـز عليهـا، أيًّـا كان السّـبب؟ ألم يقـل اللـه تعـالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُـم مَّا ٱسۡـتَطَعۡتُم مِّن قُـوَّةٖ وَمِن رِّبَـاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُـونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٦٠]؟

٨ - المراد بـ «الخير»

قال الفرّاء في «معاني القرآن»: «والخير في كلام العرب: الخيل»[٥٧].

وقـال الشّـوكانيّ في «فتـح القديـر»: «والمـراد بالخـير هنـا الخيـل. قـال الزّجّـاج: الخـير هنـا: الخيـل.... قـال النّحّـاس: وفي الحديـث «الخيـل معقـود بنواصيهـا الخـير»[٥٨]، فكأنّـها سـمّيت خـيرًا لهـذا.»[٥٩]

ولقـد كان مـن فرسـان العـرب في الجاهليّـة «زيـد الخيـل»، ثـمّ سـماه النّبـيّ محمّـد، صـلّى اللـه عليـه وسـلّم، بـ»زيد الخـير»، حـين وفـد إليـه مـع قومـه.[٦٠]

٩ - دلالة «عن»

وأصحـاب الـتّفسير الأوّل حملـوا معنـى «عـن» في قولـه تعـالى: ﴿أَحۡبَبۡتُ حُـبَّ ٱلۡخَيۡـرِ عَـن ذِكۡـرِ رَبِّى﴾ [سورة ص، الآية ٣٢] عـلى الـتّجاوز والبدليّـة، في حـين أنّـه يجـوز في «عـن» معنـى الـتّعليل، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا نَحۡـنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَـا عَـن قَوۡلِـكَ﴾ [سورة هود، الآية ٥٣]، أي: مـن أجـل قولـك[٦١]. ومنـه الآيـة: ﴿وَمَـا كَانَ ٱسۡـتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيـمَ لِأَبِيـهِ إِلَّا عَـن مَّوۡعِـدَةٖ﴾ [سورة التوبة، الآية ١١٤]، أي لـموعدة[٦٢]. ومنـه: ﴿فَأَزَلَّهُمَـا ٱلشَّـيۡطَٰنُ عَنۡهَـا﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٦]، أي لأجل هذه الشّـجرة[٦٣].

وهكـذا تعنـي: ﴿أَحۡبَبۡتُ حُـبَّ ٱلۡخَيۡـرِ عَـن ذِكۡـرِ رَبِّى﴾ [سورة ص، الآية ٣٢] أنّه أحبّ الـخيرَ بسـبب

٥٥ فاضل السّامرّائيّ، معاني النّحو، دار الفكر للطّباعة والنّشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٠، ٩٣/٣.

٥٦ الزّمخشريّ، الكشّاف، ص١٨٣؛ ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٤٧٥/١.

٥٧ الفرّاء، معاني القرآن، ٤٠٥/٢.

٥٨ الحديث: ''الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ'' ورد في البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب الجهاد والسّير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الحديث ٢٦٩٣، ١٠٤٧/٣.

٥٩ الشّوكانيّ، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطّيّب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ٤٩٤/٤.

٦٠ ابن كثير، البداية والنّهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، دار عالم الكتب، الرّياض، ب.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٨٨/٧.

٦١ ابن جرير الطّبري، جامع البيان، ٣٦٠/١٥؛ ابن هشام، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمّد عليّ حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م، ص١٩٧.

٦٢ ابن هشام، مغني اللّبيب، ص١٩٧.

٦٣ م.ن.، ص.ن. هذا إذا كان الضّمير في (عنها) يعود إلى الشّجرة..

اسـتغراقه في ذكـر اللــه، وهــذا يشـبه مـا قالــه أبــو بكـر الصّدّيــق[٦٤] رضي اللــه عنــه: «ذَهَــبَ الذَّاكِـرُون اللــهَ بالخــير كلّــه»[٦٥].

نقـل أبـو حيّـان هـذا التّفسـير: «إِنِّي أَحْبَبْـتُ حُـبَّ الْخَـيْرِ، أَيِ الَّـذِي عِنْـدَ اللـه فِي الْآخِـرَةِ بِسَـبَبِ ذِكْـرِ رَبِّي، كَأَنَّـهُ يَقُول: فَشَـغَلَنِي ذَلِـكَ عَـنْ رُؤْيَـةِ الْخَيْـلِ حَتَّـى أُدْخِلَـتِ اصْطَبْلَاتِهَـا، رُدُّوهَـا عَـلَيَّ فَطَفِـقَ يمَسَـحُ أَعْرَافَهَـا وَسُـوقَهَا مَحَبَّـةً لَهَـا»[٦٦].

فالاسـتناد إلى أنّ الخـير هـو الخيـل، يفـضي بنـا إلى أنّ الـنّبيّ سـليمان، عيـه السّـلام، أحـبّ رؤيــة الخيـلَ وطلـب إعادتهـا إليــه، بسـببِ تشـاغلِه عنهـا بذكـر اللــه.

١٠ - حذف الفاعل

حـذف الفاعـل مبحـث يختلـف عـن مبحـث اسـتتاره، فالأخـير لا جـدل فيـه، إذ يعـود الضّمـير المسـتتر عـلى مفـسِّر يزيـل اللّبـس[٦٧]. أمّـا حـذف الفاعـل فيعنـي إزالـة المسـند إليـه، وهـو العمـدة في الـكلام، والمخـبرَ عنـه، ولذلـك منعـه النّحويّـون، وأجـازَه بعضهـم، غـير أنّهـم قالـوا: لا بـدّ فيـه مـن دلالـة السّـياق عليـه[٦٨].

ومـن أدلّتهـم الآيـة: ﴿كَـلَّآ إِذَا بَلَغَـتِ ٱلتَّرَاقِيَ[٦٩]﴾ [سورة القيامة، الآية ٢٦]، فالفاعـل محـذوف، وهـو «النّفْـس»، ولهـذا أورد بعـض المفسّريـن[٧٠] بيـت الشّـاعر دُريـد بـن الصِّمَّـة[٧١] [بحر الوافر]:

وَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتَ عَنْهُمْ   وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِي[٧٢]

غـير أنّ هـذا البيـت لا يذكـره لـه إلّا القرطبـيّ، ومحقّـق الدّيـوان نقلـه بيتًـا مفـردًا. ولذلـك أسـأل: أليـس مـن الممكـن أنّ الفاعـل هـو «وجـوه» في الآيـة السّـابقة: ﴿وَوُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ بَاسِـرَةٌ ٢٤ تَظُـنُّ أَن يُفْعَـلَ بِهَـا فَاقِرَةٌ ٢٥ كَـلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦﴾ [سورة القيامة، الآيات ٢٤ -٢٦]، حيث الوجوهُ مجازٌ مرسـل يُعـبَرُّ بـه عـن النّفـوس؟ إنّ الآيـة: ﴿تَظُـنُّ أَن يُفْعَـلَ بِهَـا فَاقِـرَةٌ﴾ [سورة القيامة، الآية ٢٥] تـدلّ عـلى أنّ الّتـي سـتُفقَر ليسـت الوجـوه، وإنمّـا الـنّفوس الّتـي لهـا ظهـور تُفقَـر.

ومـن أدِلّتهـم الحديـث «لا يَـزْني الـزَّاني حِـينَ يَـزْني وهـو مُؤْمِـنٌ، ولا يَـسْرِقُ حِـينَ يَـسْرِقُ وهـو

٦٤ أبو بكر الصّدّيق (٥١ق.هـ -١٣هـ): عبد الله بن أبي قُحَافَة عثمان، ولد بمكّة، وهو أوّل من آمن برسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، من الرّجال، وأوّل الخلفاء الرّاشدين. وافتتحت في أيّامه بلاد الشّام وقسم كبير من العراق. الزّركليّ، الأعلام، ١٠٢/٤.

٦٥ أبو بكر البيهقيّ، شعب الإيمان، تح: أبي هاجر محمّد زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/2000م، فصل في إدامة ذكر الله عزّ وجلّ، رقم الحديث 558، مج1، ص408.

٦٦ أبو حيّان، البحر المحيط، ١٥٤/٩.

٦٧ ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص١٣٦.

٦٨ أجازه الكسائيّ (١٨٩هـ) في رواية، وتابعه أبو القاسم السّهيليّ (٥٨١هـ) وابنُ مضاء القرطبيّ (٥٩٢هـ). ابن هشام، شرح شذور الذّهب، ص161

٦٩ التَّرَاقِي جُمعُ تَرْقُوَةٍ وهيَ عَظْمٌ وَصَلَ بَيْنَ ثُغرة النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ. ابن منظور، لسان العرب، ٣٢/١٠.

٧٠ القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردونيّ وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ١١١/١٩.

٧١ دريد بن الصّمّة البكريّ الهوازنيّ (٨هـ): شاعر جاهليّ معمّر، كان سيّد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهليّة يوم حنين. الزّركليّ، الأعلام، ٣٣٩/٢.

٧٢ دريد بن الصّمّة، الدّيوان، تح: عمر عبد الرّسول، دار المعارف، مصر، ب.ط، 1980م، ص197.

مُؤْمِــنٌ، ولا يَــشْرَبُ الخَمْــرَ حِــينَ يَــشْرَبُ وهــو مُؤْمِــنٌ.. »[٧٣]، فالأصــل «ولا يَــشْرَبُ الشّــارِبُ الخَمْــرَ» و«لا يَــسْرِقُ السّــارِقُ حِــينَ يَــسْرِقُ»، ثــمّ حُــذِف الفاعِــلان لوضوحهــما بالسّــياق الــدّالّ عليهــما في الفعلــين الصّريحــين قبــل كلّ منهــما.

وثــمّة مــن يخالــفُ مخالفــةً ظاهــرة، ويقــول إنّ الفاعــل في «يــسرق» ضمــير مســتتر يعــود عائــد عــلى السّــارق الّــذي اســتلزمه «يــسرق»، والفاعــل في «يــشرب» ضمــير مســتتر يعــود عائــد عــلى الشّــارب الّــذي اســتلزمه «يــشرب»[٧٤].

عــلى أي حــال، ثمّــة روايــة ذكــر فيهــا الفاعــل صراحــة: «لَا يَــزْنِي الــزَّانِي حِــينَ يَــزْنِي وَهُــوَ مُؤْمِــنٌ، وَلَا يَــسْرِقُ السَّــارِقُ حِــينَ يَــسْرِقُ وَهُــوَ مُؤْمِــنٌ»[٧٥].

وهكذا تبرز في مواجهة حذف الفاعل اعتراضات وشبهات وتأويلات تحدّ منه.

أمّــا الآيــة: ﴿فَلَــوۡلَآ إِذَا بَلَغَــتِ ٱلۡحُلۡقُــومَ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٨٣]، فواضــحٌ فيهــا حــذف الفاعــل، وأنّ المــراد الــرّوح أو النّفْــس. قــال القرطبــيّ: «وَلَــمْ يَتَقَــدَّمْ لَهَــا ذِكْــرٌ، لِأَنَّ الْمَعْنَــى مَعْــرُوفٌ»[٧٦]، واســتدلّ بالحديــث: «إِنَّ مَلَــكَ الْمَــوْتِ لَــهُ أَعْــوَانٌ يَقْطَعُــونَ الْعُــرُوقَ يَجْمَعُــونَ الــرُّوحَ شَــيْئًا فَشَــيْئًا، حَتَّــى يَنْتَهِــيَ بِهَــا إِلَى الْحُلْقُــوم، فَيَتَوَفَّاهَــا مَلَــكُ الْمَــوْتِ»[٧٧]. وقــد ورد أيضًــا حديــث أقــرب في الدلالــة منــه: قــالَ رَجُــلٌ للنبــيِّ، صــلّى اللــه عليــه وســلّم: يــا رَســولَ اللــه، أيُّ الصَّدَقَــةِ أفْضَــلُ؟ قــالَ: أنْ تَصَــدَّقَ وأَنْــتَ صَحِيــحٌ حَرِيــصٌ، تَأْمُــلُ الغنــى، وتَخْــشى الفَقْــرَ، ولا تُمْهِــلْ حتّــى إذا بَلَغَتِ الحُلْقُــومَ، قُلْــتَ لِفُــلانٍ كَــذا، ولِفُــلَانٍ كَــذا، وقــدْ كانَ لِفُــلانٍ[٧٨].

في مطلــق الحــالات، يكــثر أن يكــون الفاعــل ضمــيرًا مســتترًا للغائــب، عــلى أن يكــون لــه مفــسّر قبلــه، كــما في بدايــة الآيــات «فقــال» حيــث الفاعــل المســتتر يفــسّره «ســليمان» الــوارد قبلــه. أمّــا «الشّــمس» فلــم تــرد في كلّ الآيــات، فكيــف نقــدّر أنّهــا فاعــل «تــوارت» الحقيقــيّ؟ ولا ينفــع قــول الزّمخــشريّ: «والّــذي دلّ عــلى أنّ الضّمــير للشّــمس مــرورُ ذِكْــرِ العــشيّ»[٧٩]. وســيكون علينــا ردّ الضّمــير «هــا» في «ردّوهــا» إلى الشّــمس أيضًــا، وهــي لم تذكــر، أليــس في ذلــك إمعــانٌ في التّأويــل؟

صحيــح أنّ عبــارة «تــوارت بالحجــاب» وردت في الحديــث: «كُنَّــا نُصَــلِّي مَــعَ النَّبِيِّ، صــلّى اللــه عليــه وســلّم، الْمَغْــرِبَ إِذَا تَــوَارَتْ بِالْحِجَــابِ.»[٨٠] لكــنّ «الشّــمس» وردت في روايــة أُخــرى بلفظهــا مفــسِّرةً للضّمــير المســتتر في «تــوارت»[٨١]، وليــس هــذا هنــا.

---

٧٣ البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والرّدّة، باب إثم الزّناة، الحديث ٦٤٥٢، مج٦، ص٢٤٩٧.

٧٤ ابن هشام الأنصاريّ، شرح شذور الذّهب، ص١٦١.

٧٥ البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب الحدود، باب السّارق حين يسرق، الحديث ٦٤٠٠، مج٦، ص٢٤٨٩.

٧٦ القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/٢٣٠.

٧٧ القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، 17/230. ولم أجد له تخريجًا في كتب الحديث.

٧٨ البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب الوصايا، باب الصدقة عند الموت، الحديث ٢٥٩٧، مج٣، ص١٠٠٨.

٧٩ الزّمخشريّ، الكشّاف، ص٩٢٥.

٨٠ البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب مواقيت الصّلاة، باب وقت المغرب، الحديث ٥٣٦، مج١، ص٢٠٥.

٨١ الرّواية هي: «... أَنّ رَسُولَ الله، صَلَّى اُللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشّمس وتوارت بالحجاب «. مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة

فالأصوبُ أن تكون الخيول هي الّتي توارت في حظائرها بعد العَرْض، وهذه الحظائر هي المقصودة بـ«الحِجاب»، وهذا أقرب إلى التّأويل النّحوي في عودة الضّمير إلى أقرب مظنون.

١١ - مسح الأعناق

وكيف يكون تأويل «المسح» للسّوق والأعناق بأنّه كناية عن الذّبح، والأصل في المسح أنّه خفّة وليونة. قال تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [سورة المائدة، الآية ٦]. وإذا صحَّ اقتران الذّبحِ بالأعناق، فما قولنا في السُّوق؟ لا ريب أنّ ذكر السُّوقِ متأتٍّ من طبيعةِ حركةِ الخيول، إذ صفنت في أثناء العَرْضِ على سليمان، عليه السّلام، فهذا الأمرُ أعجبَهُ، ودفعَهُ إلى تمرير يديهِ عليها تحبُّبًا.

قال الرّازيّ: «لَوْ كَانَ مَعْنَى مَسْحِ السُّوقِ وَالأَعْنَاقِ قَطْعَهَا، لَكَانَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [سورة المائدة، الآية ٦] قَطْعَهَا، وَهَذَا مِمَّا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ، بَلْ لَوْ قِيلَ مَسَحَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ فَرُبَّمَا فُهِمَ مِنْهُ ضَرْبُ الْعُنُقِ....»[٨٢].

ولقد وردت أحاديث فيها ربط للمسح بالخيل على جهة التّحبّب، منها أنّ النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، رُئِيَ وَهُوَ يَمْسَحُ وَجْهَ فَرَسِهِ بِرِدَائِهِ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنِّي عُوتِبْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْخَيْلِ»[٨٣]. ومنها قوله، عليه الصّلاة والسّلام: «ارتبطوا الخيلَ وامسَحوا بنواصيها....»[٨٤] أي تلطُّفًا بها وتنظيفًا لها.

والحديث في مسح نبيّنا لوجه الفرس اقترن بتعليل، وهو أنّ الله عاتبه ففعله، وكأنّ عدم الاغتناء بالخيل يقتضي عتابًا. وهكذا يكون لفظ «أوّاب» إشارة إلى أنّ سليمان، عليه السّلام، شعر بالتّقصير، حين مرّت به الخيول، ولم يتودّد إليها، فطلب إعادتها، وكفّر عن تقصيره.

١٢ - اقتران المسح بـ«طفق» و«الباء»

و«طفق»، الفعل المساعد الّذي سبق «مسحًا»، يشير إلى الشّروع في أمر، وهذا يكون في ما يحتاج إلى مواصلة للفعل[٨٥]، كالتّربيت الحنون على أعناق الخيول الكثيرة، وتمرير الأصابع على سيقانها، ولا سيّما أنّ سليمان، عليه السّلام، هو الّذي سيباشر الأمر مباشرة ذاتيّة، ولن يكلّف به أحدًا غيره. أمّا الذّبح فيكون بضربة واحدة، وينقضي بسرعة، ولا سيّما أنّه لا يخطر في الذّهن أن يقوم به سليمان، عليه السّلام، وإنّما يصدر الأمر، فيلبّي الذّابحون

عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، القاهرة، ب.ط، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب بَيَانِ أَنَّ أَوَّلَ وَقْتِ الْمَغْرِبِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، الحديث ٦٣٦، مج١، ص٤٤١.

٨٢ الرّازيّ، مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٩١.

٨٣ مالك بن أنس، الموطّأ (رواية يحيى)، إشراف محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ب.ط، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها، والنّفقة في الغزو، الحديث ٤٧، مج٢، ص٤٦٨.

٨٤ أبو داود السّجستانيّ، سنن أبي داود، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت، ب.ط، ب.ت، كتاب الجهاد، باب إكرام الخيل وارتباطها والمسح على أكفالها، رقم الحديث ٢٥٥٣، مج٣، ص٢٤.

٨٥ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ترتيب وتوثيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٨٠٥.

الكُـثْرُ، وسرعـان مـا يتـمّ مـا أراد.

وهنـا يـبرز جانـب آخـر، وهـو أنّ عبـارة «طفـق مسـحًا» وفـق تفسـيرنا تعنـي أنّ مَـن مَسَـح هـو سـليمان، عليـه السّـلام، نفسُـه، فيكـون الإسـناد حقيقيًّـا. أمّـا إذا أمـر بالمسـح (الذّبـح) ولم يبـاشره بيـده، ففـي الـكلام مجـاز عقـليّ علاقتـه السّـببيّة. ومعلـوم أنّ الـكلام لا يُحمَـل عـلى المجـاز، إذا اسـتقامت الحقيقـة، لأنّهـا أصـل الوضـع، ويحتـاج المجـاز إلى قرينـة تصرفـه عـن الحقيقـة أي عـن الظّاهـر، «فالحقيقـة الـكلامُ الموضـوع موضعَـه الّـذي ليـس باسـتعارة ولا تمثيـل... وهـذا أكـثر الـكلام... وأكـثر مـا يـأتي مـن الآي عـلى هـذا»[٨٦]، ثـمّ إنّ «الـكلام الحقيقـيّ يمـضي لِسُـنَّته لا يُعـترَضُ عليـه. وقـد يكـون غـيرُه (المجـاز) يجـوزُ جـوازَه لقُربِـه منـه...»[٨٧]

والبـاء في «مسـحًا بالسّـوق» تؤكّـد أنّ المسـح لـن يكـون ذبحًـا، فهـي شـبيهة بالبـاء في الآيـة: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [سورة المائدة، الآية ٦]، إذ قـرّر أكـثر المفسّريـن والفقهـاء أنّها تفيـد الإلصاق، وتبعًـا لذلـك تعنـي اسـتيعاب كلّ الـرّأس[٨٨]. وينسـحب هـذا أيضًـا عـلى الآيـة «مسـحًا بالسّـوق والأعنـاق»، إذ يكـون المسـح عـلى كلّ العنـق وكلّ سـاق مـن سـوق كلّ جـواد مـن الصّافنـات الجيـاد. وهـذا لا يُحتـاج إليـه في الذّبـح، بـل في الـتّربيت.

١٣ - السّياق سياق جهاد

قـال الـرّازيّ: «إنَّ سُـلَيْمَانَ، عَلَيْـهِ السَّـلَامُ، احْتَـاجَ إِلَى الْغَـزْوِ، فَجَلَـسَ، وَأَمَـرَ بِإِحْضَـارِ الْخَيْـلِ، وَأَمَـرَ بِإِجْرَائِهَـا، وَذَكَـرَ أَنِّي لَا أُحِبُّهَـا لِأَجْـلِ الدُّنْيَـا وَنَصِيـبِ النَّفْـسِ، وَإِنَّمَـا أُحِبُّهَـا لِأَمْـرِ اللـهِ، وَطَلَـبِ تَقْوِيَـةِ دِينِـهِ، وَهُـوَ الْمُـرَادُ مِـنْ قَوْلِـهِ «عَـنْ ذِكْـرِ رَبِّي»، ثُـمَّ إِنَّـهُ، عَلَيْـهِ السَّـلَامُ، أَمَـرَ بِإِعْدَائِهَـا وَتَسْـيِيرِهَا، حَتَّـى تَـوَارَتْ بِالْحِجَـابِ أَيْ غَابَـتْ عَـنْ بَـصَرِهِ، ثُـمَّ أَمَـرَ الرَّائِضِـينَ بِـأَنْ يَـرُدُّوا تِلْـكَ الْخَيْـلَ إِلَيْـهِ، فَلَـمَّا عَـادَتْ إِلَيْـهِ طَفِـقَ يَمْسَـحُ سُـوقَهَا وَأَعْنَاقَهَـا»[٨٩].

وهذا الأمر يؤيّده أمور عديدة:

- ربـط الخيـل بالخـير ومسـح الجسـم، وهـذا وارد في الحديـث الـنّبويّ: «الخيـلُ معقـودٌ في نواصيهـا الخـيرُ والنَّيـلُ إلى يـومِ القيامـةِ، وأهلُهـا مُعانـون عليهـا، فامسَـحُوا بنواصيهـا....»[٩٠]
- أشـار القـرآن إلى قيـادة سـليمان، عليـه السّـلام، للجنـود في جيشه:﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [سورة النّمل، الآية 17]، وفي الآيـة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة النّمل، الآية 18]، وفي الآيـة: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة النّمل، الآية ٣٧].
- الآيـات المتحدّثـة عـن الصّافنـات الجيـاد جـاءت بعـد ذكـر الـنّبيّ داود، عليـه السّـلام، وقـوّة

---

٨٦ أحمد بن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها، تحقيق: عمر فاروق الطّبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٠٣.

٨٧ م.ن.، ص.ن.

٨٨ ابن قدامة، المغني، تحقيق: طه الزّينيّ ومحمود عبد الوهّاب فايد وعبد القادر عطا ومحمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م، ٩٣/١.

٨٩ الرّازيّ، مفاتيح الغيب، ٣٩٢/٢٦.

٩٠ أحمد بن حنبل، المسند، مسند المكثرين من الصّحابة، مسند جابر بن عبد الله، الرقم ١٤٧٩١، ١٠٤/٢٣.

ملكه، ووصفته بـ«الأوّاب»: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [سورة ص، الآيات 17 -20]، ثمّ جاء وصف سليمان بالأوّاب، ونهجه نهجَ والِده في القوّة عبر الغزو وحبّ الخيل.

- أشار ابن العربيّ[٩١] في «أحكام القرآن» إلى أنّ الصّافنات الجياد هذه كانت خيلًا للجهاد[٩٢].

- أشار الشّوكانيّ، كما سلف، إلى أنّ الخير هو الخيل[٩٣]، وهذا يؤكّد أنّ النّبيّ سليمان أحبّ الخيلَ بسببِ ذكر الله، لأنّ الله أمره بحبّها.

١٤ - الخلاصة

بُنِيَت هذه الدّراسة على عدّة فرضيّات. فالأولى أنّه لا ينبغي أن يعارض أيّ تفسيرٍ عصمةَ الأنبياء، ولذلك لا بدّ من وجود تفسير صائبٍ مقنع. والثّانية أنّه لا تستطيع اللّغة إلّا أن توصل إلى الصّواب في التّفسير، لأنّ القرآن نزل بلسانٍ عربيّ مبين، وإعجازه مبنيّ على بلاغة هذه اللّغة. والثّالثة أنّ سياقات قرآنيّة في آياتٍ أخرى تستطيع أن تُسهم في التّفسير الصّائب، لأنَّ القرآنَ يفسِّرُ بعضُه بعضًا. **ولقد جاءت النّتائج مؤكِّدةً لهذه الفرضيّات.**

وصل البحث إلى أنّ النّبيّ سليمان، عليه السّلام، عُرِضَت عليه خيول الجهاد، ذات نهار، لكنّه شُغِلَ عنها بالذِّكر، ثمّ ندم لأنّ اللهَ يحبُّ الاعتناء بالخيل، ولهذا طلب إعادتها من حظائرها، وبادر تعويضًا عن فعلِ ما هو خِلافُ الأولى - و«هو واسطة بين الكراهة والإباحة»[٩٤] - إلى التّربيت على أعناقها وسيقانها، ولهذا وُصِفَ بأنّه أوّاب كثير الرّجوع إلى الله. وهذا التّفسير الّذي أيّدته اللّغة يوافِقُ سياقات قرآنيّة وحديثيّة كثيرة، ويوافِقُ مقتضى العِصمة الّتي يتّصف بها الأنبياءُ الكِرامُ.

ويحسن هنا التّنبّه إلى أمر مهمّ، من دون الاستفاضة في شأنه، وهو أنّ التّوراة الّتي وصلت إلينا مشوّهة تفتري على الأنبياء، وتحوّلهم إلى أدوات قتل للبشر، والحيوانات.

ومن أساليب القتل الّتي نُسِبَت إلى داود، عليه السّلام، «عرقبة الخيل» الّتي ندرؤها عن ابنه سليمان، عليه السّلام. قالت التّوراة: «وَضَرَبَ دَاوُدُ هَدَدَ عَزَرَ بْنَ رَحُوبَ مَلِكَ صُوبَةَ حِينَ ذَهَبَ لِيَرُدَّ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ، فَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِل، **وَعَرْقَبَ دَاوُدُ جَمِيعَ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ** وَأَبْقَى مِنْهَا مِئَةَ مَرْكَبَةٍ»! [سفر صموئيل الثّاني، الإصحاح الثّامن، ٢ -٤].

وفي العناوين التّالية في كتاب «القراءات الملعونة» انتقادُ تشويه التّوراة لصورة الإله،

٩١ هو محمّد بن عبد الله الإشبيليّ المالكيّ، أبو بكر ابن العربيّ: (٤٦٨ -٥٤٣هـ) قاض، من حفّاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدّين، ومات بقرب فاس، ودفن بها. من كتبه «العواصم من القواصم»، و«عارضة الأحوذيّ في شرح التّرمذيّ»، و«أحكام القرآن». الزّركليّ، الأعلام، ٦/ ٢٣٠.

٩٢ ابن العربيّ، أحكام القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، لا ت، ٤/٥٦.

٩٣ الشّوكانيّ، فتح القدير، ٤/٤٩٤.

٩٤ بدر الدّين الزّركشيّ، البحر المحيط، دار الكتبيّ، القاهرة ط١، ١٩٩٤م، ١/٤٠٠.

وصـورة الأنبيـاء: «اللـه يحمـي القتلـة»[٩٥]، و«الطّوفـان وحمايـة نسـل القتلـة»[٩٦]، و«الـرّبّ الثّـوراتيّ ذلـك السّـاديّ الكبـير»، و«المجـزرة»[٩٧]... وهـذا الـتّشويه المنهجـيّ هـو الّـذي سـوّغ للضّالّـين مـن بنـي إسرائيـل ارتـكاب أفظـع المجـازر، فلقـد اقتحمـوا أريحا، "وحرَّمـوا كلّ مـا في المدينـة مـن رجـل وامـرأة مـن طفـل وشـيخ حتّـى البقـر والغنـم والحمـير بحـد السّـيف... وأحرقـوا المدينـة بالنّـار مـع كلّ مـا بهـا» [سـفر يشـوع، الإصحـاح السّـادس، ٢١ -٢٤].

وأبـرز **توصيـات يُنهـى بهـا البحـث** أنّـه يجـدر بأصحـاب الأقـلام الهادفـة أن يتعقّبـوا في أبحاثهـم كلّ المرويّـات الّتـي لم يُدرجْهـا الأوّلـون في خانـة «الإسرائيليّـات»، وهـي لا تقـلّ ضررًا عنهـا، ولا سـيّما مـا يقـدح بعصمـة الأنبيـاء، أو يصوّرهـم قتلـةً، ويجـدر بالمحقّقـين لكتـب الـتّراث في دور الـنّشر أيضًـا أن يتنبّهـوا لهـا، ويجـدر بمـدرّسي العقيـدة والـتّفسير كذلك كشـف الـنّقاب عنهـا في المعاهـد الشّرعيّـة، لأنّهـا مرويّـات تقـدّم خِدمـة للمـشروع الصّهيـونيّ الخبيـث الّـذي يسـتبيح دمـاء الأبريـاء، كلّ الأبريـاء.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلًا – المصادر الدّينيّة:

١. القرآن الكريم.

٢. العهد القديم في «الكتاب المقدّس».

ثانيًا – سائر الكتب:

١. ابـن الأثـير، مجـد الدّيـن، النّهايـة في غريـب الحديـث والأثـر، تـح: طاهـر أحمـد الـزّاويّ ومحمـود محمّـد الطّناحـيّ، المكتبـة العلميّـة، بـيروت، ب.ط، ١٣٩٩هـــ/ ١٩٧٩.

٢. ابن العربيّ، أبو بكر، أحكام القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، لا ت.

٣. ابـن النّديـم، أبـو الفـرج، الفهرسـت، ضبـط وشرح د. يوسـف عـليّ الطّويـل، فهرسـة أحمـد شـمس الدّيـن، دار الكتـب العلميّـة، بـيروت، ط١، ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م.

٤. ابـن حـزم، أبـو محمّـد، الفصـل في الملـل والأهـواء والنِّحَـل، مكتبـة الخانجـيّ، القاهـرة، ب.ط، ب.ت.

٥. ابـن حنبـل، أحمـد، المسـند، تـح: محمـد أحمـد شـاكر، دار الحديـث، القاهـرة، ط١، ١٤١٦هـــ/ ١٩٩٥م.

٩٥ جود أبو صوّان، القراءات الملعونة – كتاب ليس للجميع، لا د، لا ب، ط٢، ب.ت، ص٣٩.

٩٦ م.ن.، ص٤١.

٩٧ م.ن.، ص١٤٨.

٦. ابن خلّكان، شمس الدّين أبو العبّاس، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ب.ط، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٧. ابن عطيّة الأندلسيّ، المحرّر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه.

٨. ابن فارس، أحمد، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها، تحقيق: عمر فاروق الطّبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٩. ابن قدامة، أبو محمّد المغني، تحقيق: طه الزّينيّ ومحمود عبد الوهّاب فايد وعبد القادر عطا ومحمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م.

١٠. ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنّهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، دار عالم الكتب، الرّياض، ب.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١١. ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٩ه.

١٢. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، تعليق إبراهيم اليازجيّ وجماعة من اللّغويّين، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

١٣. ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدّين، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، ب.ط، ب.ت.

١٤. ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدّين، شرح شذور الذّهب، تقديم وفهرسة د. إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٥. ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدّين، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمّد عليّ حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

١٦. أبو حيّان الأندلسيّ، البحر المحيط، عناية: صدقي محمّد جميل العطّار - زهير جعيد - عرفان العشّا حسّونة، دار الفكر، بيروت، ب.ط، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٧. أبو داود السّجستانيّ، سنن أبي داود، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، ب.ط، ب.ت.

١٨. أبو صوّان، جود، القراءات الملعونة - كتاب ليس للجميع، لا د، لا ب، ط٢، ب.ت.

١٩. الأنباريّ، أبو بكر، الزّاهر في معاني كلمات النّاس، تح: حاتم صالح الضّامن، مؤسسّة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.

٢٠. البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاريّ، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢١. البغداديّ، عبد القادر، الفرق بين الفرق، دار الكتب العلميّة، بيروت، ب.ط، ب.ت.

٢٢. البيهقيّ، أبو بكر، شعب الإيمان، تح: أبي هاجر محمّد زغلول، دار الكتب العلميّة،

بـيروت، ط١، ١٤٢١هــ/٢٠٠٠م.

٢٣. الحطيئـة، جَـرْوَل بـن أَوس، الدّيـوان (بروايـة ابـن السّـكّيت وشرحهـ)، دراسـة وتبويـب: مفيـد محمّـد قميحـة، دار الكتـب العلميّـة، بـيروت، ط١، ١٤١٣هــ/١٩٩٣م.

٢٤. درويـش، محيـي الدّيـن، إعـراب القـرآن وبيانـه، دار اليمامـة، دمشـق - بـيروت، ودار ابـن كثـير، دمشـق - بـيروت، ط٧، ١٤٢٠هــ/١٩٩٩م.

٢٥. دريـد بـن الصّمّـة، الدّيـوان، تـح: عمـر عبـد الرّسـول، دار المعـارف، مـصر، ب.ط، ١٩٨٠م، ص١٩٧.

٢٦. الـرّازيّ، فخـر الدّيـن، مفاتيـح الغيـب، دار إحيـاء الـتّراث العـربيّ، بـيروت، ط٣، ١٤٢٠هــ/ ١٩٩٩م.

٢٧. الزّركشيّ، بدر الدّين، البحر المحيط، دار الكتبيّ، القاهرة ط١، ١٩٩٤م.

٢٨. الزّركليّ، خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٩. الزّمخـشريّ، أبـو القاسـم، الكشّـاف عـن حقائـق التّنزيـل وعيـون الأقاويـل في وجـوه التّأويـل، عنايـة: خليـل مأمـون شـيحا، دار المعرفـة، بـيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٣٠. السّامرّائيّ، فاضل، معاني النّحو، دار الفكر للطّباعة والنّشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٠.

٣١. السّـمين الحلبـيّ، عمـدة الحفّـاظ في تفسـير أشرف الألفـاظ، تـح: محمـد باسـل عيـون السـود، دار الكتـب العلميّـة، بـيروت، ط١، ١٤١٧هــ/ ١٩٩٦م.

٣٢. الشّـوكانيّ، أبـو عبـد اللـه، فتـح القديـر، دار ابـن كثـير، دار الكلـم الطّيّـب، دمشـق، بـيروت، ط١، ١٤١٤ه.

٣٣. الصّـلابيّ، عـلي، الأنبيـاء والملـوك، داود وسـليمان، وهيـكل سـليمان المزعـوم، دار الأصالـة، إسـتنبول، ط١، ٢٠٢٣م.

٣٤. الطّـبريّ، ابـن جريـر، جامـع البيـان عـن تأويـل آي القـرآن، دار التّربيـة والـتّراث - مكّـة المكرمـة، ب.ط، لا ت.

٣٥. عبد الـنّور، جبّور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٣٦. الفرّاء، أبو زكريّا، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

٣٧. الفيروزآبـادي، مجـد الدّيـن، القامـوس المحيـط، ترتيـب وتوثيـق: خليـل شـيحا، دار المعرفـة، بـيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٣٨. القرطبـيّ، أبـو عبـد اللـه، الجامـع لأحـكام القـرآن، تـح: أحمـد الـبردونيّ وإبراهيـم أطفيـش، دار الكتـب المصريّـة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هــ / ١٩٦٤م.

٣٩. لجنـة القـرآن والسّـنّة، المنتخـب في تفسـير القـرآن الكريـم، شركـة دار الأرقـم بـن أبي الأرقـم، بـيروت، ب.ط، لا ت.

٤٠. مالـك بـن أنـس، الموطّـأ (روايـة يحيـى)، إشراف محمّـد فـؤاد عبـد الباقـي، دار إحيـاء التّراث العربيّ، بـيروت، ب.ط، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م.

٤١. مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنيّة، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤٢. المدينيّ، أبو موسى، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تح: عبد الكريم العزباويّ، جامعة أمّ القرى، مركز البحث العلميّ وإحياء التّراث الإسلاميّ، كلّيّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، مكّة المكّرمة/ دار المدنيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، جدّة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٣. مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، القاهرة، ب.ط، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٤٤. المطيعيّ، محمّد بخيت (مفتي الدّيار المصريّة)، جواب عن وقف الشّمس لبعض الأنبياء، عليهم السّلام (مطبوع مع كتابه: أحسن الكلام في ما يتعلّق بالسّنّة والبدعة من الأحكام)، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٥. النّجّار، عبد الوهّاب، قصص الأنبياء، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط٣، ب.ت.

ثالثًا - مقالات في الشّابكة:

١- الشّريف، أحمد إبراهيم، «قصّة النّبيّ سليمان مع الخيل: هل قتلها بالفعل؟ ما يقوله التّراث الإسلاميّ»، مجلّة اليوم السّابع، ٢١ حزيران ٢٠٢٠م، راجع الرّابط التّالي (تاريخ الزّيارة: ٢٤ آب ٢٠٢٥ - ٨:٥٠ مساء):

https//:www.youm.٧com/storyهل-الخيل-مع-سليمان-النبى-قصة/٢١/٦/٢٠٢٠/ -قتلها-بالفعل-ما-يقوله/٤٨٣٦٦٧٩

٢- القطيفيّ، محمّد العبيدان، «ردّ الشّمس»، موقع الشّيخ محمّد العبيدان القطيفيّ، ٢٩ آذار ٢٠١٧، راجع الرّابط (تاريخ الزّيارة ٢٤ آب ٢٠٢٥ - ٤:٤٦ مساء):

١٢٣٩٣/archives/org.alobaidan.www//:https

٣- كاتب مجهول، «عصمة النّبيّ سليمان، عليه السّلام، ومسألة عرض الصّافنات الجياد، وطلب الملك»، شبكة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة، ب.ت، راجع الرّابط التّالي (تاريخ الزّيارة: ٢٤ آب ٢٠٢٥ - ٨:٤٠ مساء):

https//:www.almaaref.org/maarefdetails.php?id١٦٤٣١=